نشأة المنبر عند المسلمين

● د. عبد المنعم عبد العزيز رسلان ●

دأب الكثير من المستشرقين أمثال هـ. بيكر H. Becker وكويبل Quibell وكرزويل Creswell وغيرهم على الإساءة للإسلام وإبراز ضعف العرب والمسلمين وعجزهم عن أن ينشئوا وحدة معمارية أو فنية بصفة عامة وتلمسوا لذلك أسباباً تخيلوها، منها البيئة التي كان يعيش فيها العرب في الجاهلية والتي ما كانت – على حد زعمهم – تثير فيهم الإبداع في الصنعة أو البناء، وإنما يكفيها القليل من الأدوات التي يستعملونها والتي كانت تجلب إليهم من أهل الحضارات المجاورة لجزيرتهم.(١)

ولعل من أبرز الأشياء التي نسبوا صناعتها إلى غير العرب «المنبر النبوي»، فقد أسهم هؤلاء المستشرقون وغيرهم في الطعن على العرب والمسلمين فيه، فمنهم من نسب صناعته إلى شخص يوناني يقال له «باقوم» ومنهم من قال باقتباس شكله من الكنائس، ومنهم من أنكر حتى نسبة اسم المنبر إلى العرب وقال إنها كلمة مشتقة من الحبشية، ومنهم من زعم أن اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم للمنبر كان مواكباً للوقت الذي صار فيه شخصية كبيرة يؤمه لها تقابل السفارات وكبار القوم.

وسنحاول في هذا البحث مناقشة ما قاله هؤلاء المستشرقون، حتى تنكشف الحقيقة لدى القراء لا سيما المهتمين منهم بالحضارة الإسلامية، ثم نرسم الصورة الحقيقة لنشأة المنبر عند المسلمين معتمدين في ذلك على الأسانيد الصحيحة.

أولاً : ذكر نولدكه أن هـ. بيكر H. Becker يقول : «إن لفظ منبر يعني المقعد المرتفع، وكانت هذه اللفظة تعني التعبير الاحتفاليّ بشيء جديد». ويعلق نولدكه على ذلك بقوله : إن بيكر لم يعبأ بالفرق بين اللفظين العربي والحبشي الخاص بالحركات وأشار فقط إلى أن كلمة منبر العربية مستعارة من اللفظ الحبشي «منبرة መንበር» بمعنى مقعد وهي كلمة شائعة في الحبشية مشتقة من الفعل ነበረ[2].

وإذا كان المستشرق هـ. بيكر يقول إن كلمة «منبر» أخذتها العربية عن الحبشية فإنه لم يقدم لنا دليلاً على ذلك ولم يتبع خط سير الكلمة من الحبشية إلى العربية، وهذا بالنسبة إلينا مجرد احتمال قد يصدق وقد لا يصدق، ولكننا في مقابل ذلك نسوق احتمالاً آخر وهو أن الأصول الثلاثة (ن ب ر) مشتركة بين الحبشية والعربية بدليل أن كلمة «نبر» بالعربية تفيد الارتقاء وكذلك كلمة «نبر» حين جعلت أحد أسماء الهمزة، ومعنى ذلك أن هذه الأصول عربية أصلية، فإذا صح ذلك، فإن اللغة العربية تكون قد صاغت كلمة «منبر» عن طريق الاشتقاق المعتاد، كما فعلت الحبشية. ومن المعروف أن في اللغات السامية المتعددة كلمات مشتركة بينها مثل أسماء الإنسان وأحواله والأفعال المتعلقة بهذه الأسماء، وبعض أسماء الحيوانات والأفعال المتعلقة بها[3]، وبعض أجزاء العالم والأفعال والحوادث التابعة لها وبعض أسماء النباتات[4]، ثم بعض أسماء البيت وأجزائه والآلات، نحو بيت، وعمود، وعرش .. الخ. ثم من المأكولات والمشروبات مثل : قمح، ودبس، وسكر، وما يعود إليها من أفعال مثل طحن، وطبخ، وبسل (صار مر الطعم) ثم عدد كبير من الأفعال وبعض الأسماء التابعة لها[5] ومن الأسماء : اسم، وكل. ثم أسماء العدد إلى العشرة، وبعدها مائة ثم بعض الأدوات (٦).

ولعل ما في المعاجم العربية من إفاضة شافية في المنبر بمعنى مرقاة الخاطب وأنه سمي بذلك لارتقائه وعلوه والمشتقات العديدة من مادة نبر[7]، ما يعزز ما ذهبنا إليه.

ثانياً : يقول هـ. بيكر ويؤيده كرتزويل «إن محمداً اتخذ المنبر فقط عندما صار شخصاً عظيماً تأتيه الوفود أو السفارات بشكل مستمر من كل جهة[8]». ونَرُدُّ هذا القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعمل المنبر في أي صورة من الصور قبل عام الوفود وهو العام التاسع للهجرة، فقد جاء في صحيح البخاري في معرض قصة الإفك[9] الطويلة ما نصه :

«فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا (قصدوا المحاربة واستعدوا للنزاع) ورسول الله على المنبر، فنزل فخفضهم (تلطف بهم) حتى سكنوا وسكت.[10]»

ثالثاً : يقول Creswell «إن النجار الذي صنع المنبر للرسول صلى الله عليه وسلم يوناني يسمى «باقوم» أو حبشي يسمى باقول(١١) وهذه روايات ضعيفة لا يقوم عليها دليل ويقول عنها ابن حجر العسقلاني في شرحه لأحاديث البخاري إن إسنادها ضعيف منقطع بالنسبة لباقول وضعيف جداً بالنسبة لباقوم. وأرجح الأقوال عند ابن حجر أن الذي صنع المنبر الخشبي للرسول «ميمون» لكون الإسناد من طريق سهل بن سعد(١٢) وهو قوي.

رابعاً : يرى كرزويل أن منبر جامع عمرو بالفسطاط(١٣) قد تطور عن منابر الكنائس المسيحية ويقيم رأيه هذا على التشابه بين المنبر ذي الست درجات والمقعد الذي اكتشفه كويبل Quibell في حفرياته بدير أرميا بسقارة بمصر(١٤) والمنابر الإسلامية، واعتبر هذا المنبر المسيحي هو الطراز المحتمل اتباعه في عمل المنبر الإسلامي معتمداً في ذلك على أمرين :

(١) وجه الشبه في الشكل الذي يمكن استخلاصه من المقارنة بين منبر سقارة والمنابر الإسلامية.

(٢) بعض النصوص المتعلقة بمنبر جامع الفسطاط(١٥).

وقد تولى سوفاجيه الرد على كرزويل مفنداً رأيه قائلاً : «إن هذا الشبه بين منبر سقارة والمنبر الشائع استعماله حالياً (وهو المتعدد الدرجات) لا يقوم على أساس للأسباب التالية(١٦) :

(١) لأننا نجهل في حقيقة الأمر الشكل الذي كانت عليه المنابر الإسلامية خلال القرن الأول الهجري. فهل كانت هذه المنابر مثل المنابر ذات الدرجات المتعددة التي شاع استعمالها في البلاد الإسلامية في العصور الوسطى ؟ كما نجهل في حقيقة الأمر الغرض من وجود هذه الدرجات المتعاقبة ونجهل أيضاً هل كانت هذه المنابر ذات باب شأنها شأن منابر العصور الوسطى وهل كانت مغطاة بقبة فوق رأس الخطيب أم لا ؟
ويقول سوفاجيه إننا لا نستطيع أن نقرر شيئاً في ضوء عدم وجود وثائق أثرية توضح لنا الخصائص الأولى للمنبر في الإسلام.

(٢) لأنه توجد لدينا بعض الشواهد عن الأشكال التي كانت عليها المنابر الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني للهجرة، وهي أشكال قريبة الشبه بما كان عليه منبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتتلخص هذه الشواهد فيما يلي :
أ – أن أحد حكام مصر خطب من فوق منبر صغير(١٧).

ب - أن بعض المنابر التي أقيمت في بعض المساجد كانت من النوع المتحرك.

ج - أن بعض فقهاء المسلمين يعتبرون الارتفاع الكبير للمنابر (كما أصبح عليه الحال في زمانهم) غير شرعي ويعتبرونه بدعة، كما هو الحال عند فقهاء الهند وفارس.

ويخلص سوفاجيه من هذا إلى أن المقارنة التي أقامها كرزويل بين منبر جامع عمرو ومنبر الكنيسة المسيحية الذي اكتشفه كويبل لا يمت بصلة لما كان عليه الشكل الأصلي لمنبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولكن المؤكد أن هناك وجه شبه بين منبر الكنيسة المسيحية الذي اكتشفه كويبل في حفائر سقارة وبين المنبر المتطور في العصور الوسطى المتأخرة، وأن وجه الشبه هذا جاء نتيجة للتطور(١٨).

ومن جهة أخرى أن الروايات المتعلقة بمنبر الفسطاط يمكن عدم الأخذ بها لأنها :

أولاً : لا تعتمد إلا على تصانيف متأخرة في القرنين ١٤/١٥م (٨/٩هـ)، لا نستطيع أن نثق فيها كل الثقة فضلاً عن أنها تنقل عن بعضها ومثال ذلك أن ابن دقماق والمقريزي يذكران نفس النص الخاص بقرة بن شريك(١٩) وكذلك ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة مع اختلاف في لفظ واحد لا يؤثر في المضمون(٢٠) كما ذكر الثلاثة روايات لا دليل عليها عن منبر كان قبل منبر قرة بن شريك خلاصتها «وذكر أن عمرو بن العاص كان جعله فيه ولعله كان وضعه بعد وفاة عمر بن الخطاب. وقيل هو منبر عبد العزيز بن مروان، وذكر أنه حمل إليه من بعض كنائس مصر وذكر أن زكريا بن برقي ملك النوبة أهداه إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح وبعث معه نجاراً حتى ركبه واسم النجار «بقطره من أهل دندرة. فلم يزل هذا المنبر في المسجد حتى زاد قرة بن شريك في الجامع فنصب منبراً سواه»(٢١).

ثانياً : أن هناك تعارضاً فيما ذكره المؤرخون الثلاثة أنفسهم، فهم في الوقت الذي يسوقون فيه الروايات التي ذكروها عن وجود منبر في مسجد عمرو قبل منبر قرة بن شريك يذكرون أنه لا يعرف منبر أقدم منه يعني منبر قرة بن شريك بعد منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وانفرد ابن تغري بردى بذكر مرجعه في ذلك وهو الكندي الذي ذكر في معرض الحديث عن قرة بن شريك ما نصه «ونصب المنبر الجديد في سنة أربع وتسعين فيقال إنه لا يعلم اليوم في جند من الأجناد أقدم منه بعد منبر الرسول صلى الله عليه وسلم»(٢٢).

فكيف - بعد هذا الاضطراب في الروايات - أن نطمئن إلى ما قاله هؤلاء المؤرخون في شأن منبر زُعم أنه جاء من كنيسة ؟ فأولى بنا أن نسقط هذه الروايات التي تصيدها كرزويل

وساقها لنا على أنها حقائق. ولعله من المعروف عنه أنه من أولئك الذين عرفنا آراءهم في العرب واتهامهم بالقصور عن الإبداع.

ثالثاً : يرى بيكر ويشاركه الرأي Creswell أن المنبر (النبوي) الذي كان في البداية مقعداً ذا درجتين، كان يخلو من أية دلالة دينية في المرحلة المبكرة من الإسلام، فقد كان مجرد مكان يجلس عليه النبي وخلفاؤه في الاجتماعات أو الأعياد ولذا كان نوعاً من أنواع العرش المرتفع الذي يتربع عليه رأس السلطة الدنيوية في المجتمع(٢٣).

وللرد على هذا الرأي نقول إن هذين المستشرقين لو كانا دقيقين في أحكامهما لتقصيا ما عمله الرسول صلى الله عليه وسلم على المنبر، ففي حديث لأبي حازم بن دينار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «... ثم رأيت رسول الله (ﷺ) صلى عليها (أعواد المنبر فور وصولها إلى المسجد) وكبر وهو عليها ثم ركع وهو عليها، ثم نزل القهقرى فسجد في أصل المنبر ثم عاد. فلما فرغ أقبل على الناس فقال : أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا، ولتعلموا صلاتي»(٢٤). ومما هو معروف أن النبي (ﷺ) كان يقطع خطبته للحاجة تعرض والسؤال لأحد من أصحابه، ثم يعود إلى خطبته وكان ربما نزل عن المنبر للحاجة ثم يعود فيتمها (الخطبة) كما نزل لأخذ الحسن والحسين (رأفة بالطفلين) يعثران في قميصيهما ثم رقى بهما المنبر فأتم خطبته(٢٥).

كما عُرف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يوجه المصلين وهو على المنبر فعن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول دخل رجل المسجد يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قال : أصليت ؟ قال : لا. قال فصل ركعتين»(٢٦).

ولو أراد هؤلاء المستشرقون العدل في القول وتحري الدقة والصدق لعرفوا أن الغرض من اتخاذ المنبر كان إسماع الناس لما كثروا بالمسجد فقد أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال : سمعت الحسن يقول : لمّا أن قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جعل يسند ظهره إلى خشبة ويحدث الناس فكثروا حوله فأراد النبي أن يسمعهم فقال ابنوا شيئاً ارتفع عليه»(٢٧).

كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصعد المنبر إذا ادلهم به خطب يحدّث الناس فيه كما حدث في قصة الإفك المعروفة، فقد قام النبي (ﷺ) من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول، فقال رسول الله (ﷺ) وهو على المنبر من يعذرني من رجل بلغني

أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت في أهلي إلا خيراً وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي ...(٢٨)

ولعل قصور معرفة المستشرقين بطبيعة الدين الإسلامي الذي وسع كل أمور الدين والدنيا فنظمها فلم يقتصر على أمور العبادات كما في الأديان الأخرى بل شمل المعاملات بأنواعها المتعلقة بين بني البشر مؤمنين وغير مؤمنين فضلاً عن العقائد ونظم الحكم وغير ذلك ما جعل المستشرقين يبعدون الصبغة الدينية في نظرهم عن المنبر النبوي.

وليت الأمر اقتصر على دور المستشرقين في الطعن على العرب والمسلمين ونبيهم ومحاولة التشكيك - على الأقل - في مقدرتهم على الإبداع والتطور في الصناعات المختلفة التي هي من شأن سائر بني البشر بل تجاوز الأمر هذا الحد فانزلق بعض الأساتذة من المسلمين إلى ما ينشره المستشرقون فأخذوا يرددون مقالة هؤلا مبهورين بما بلغوه من صيت في ميدان العلم والبحث والتدقيق دون أن يكلفوا أنفسهم مؤنة البحث والتفتيش فيما قاله هؤلاء المستشرقون من دس على المسلمين ونبيهم. ولو أنه للحقيقة نرى أن بعض الباحثين المسلمين قد نهضوا ليدفعوا بعض هذه المفتريات إلا أنهم للأسف قد وقعوا بدورهم في بعض الأخطاء لغياب بعض الحقائق عنهم مما جعلهم يتنكبون الطريق وينأون عن التصور الصحيح للأمور وسنسوق بعض الأمثلة للتدليل على ما ذهبنا إليه :

١ - يقول الدكتور حسين مؤنس : «عندما بنى المسلمون مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم كان منبره أول الأمر مجرد ارتفاع في الأرض إلى جانب موضع المحراب، ويقول البخاري في كتاب الصلاة : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي على منبره وهذا لا يمكن إذا كان المنبر على شكله الحالي أو قريباً منه. ولا بد أنه كان مساحة مرتفعة تكفي لاقامة الصلاة عليها وربما كانت بنيت من الآجر»(٢٩).

ولو كلف الدكتور حسين مؤنس نفسه مؤنة البحث في حديث صحيح البخاري في باب الخطبة على المنبر لوجد الإجابة الصحيحة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم قد صلى فعلاً على المنبر ذي الثلاث مراق بكيفية معينة وهي أداء ما يمكن المصلي أن يقوم به من حركات عند الركوع وما يمكن أن يقوم به من حركات عند السجود وحدد لكل من الركوع والسجود موضعه وطريقة أدائه(٣٠).

ويتابع حسين مؤنس الكلام فيقول: «ولدينا عن منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض التفاصيل، فيقال إن الرسول (ﷺ) كان يقوم أول الأمر إلى جذع في المسجد أي إلى جوار أحد جذوع النخل التي كانت تقوم مقام الأعمدة في الجزء المسقوف وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لما بدن قال له تميم الداري ألا أتخذ لك منبراً يجمع عظامك أو يحمل عظامك. قال نعم فاتخذ منبراً من مرقاتين». ويتابع حسين مؤنس كلامه فيقول: «وقد روى البخاري هذا الأثر في الصحيح وأبو داود في السنن، ويحيرنا معنى هذا الحديث لأن «بَدَّن» كبر وأسَنَّ. والرسول «ﷺ» كانت سنه في ذلك الحين ما بين ٥٥، ٥٧ سنة لأن المنبر صنع في المسجد بعد بناء المسجد بقليل، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظهر عليه ما يجعل تميماً الداري يعرض عليه أن يصنع له منبراً «يرم عظامه» والحقيقة أن المنبر عمل في المسجد بعد إنشاء المسجد بسنتين أو ثلاث دون أن يكون الداعي لذلك كبر سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاجته إلى ما يرم عظامه(٣١)».

وملاحظاتنا على ما قاله الدكتور مؤنس هي:

أ – أن المنبر الذي جاء في الحديث إنما هو المنبر الخشبي وهو لم يصنع قبل العام الثامن للهجرة على الترجيح إن لم يكن بعد ذلك لأمور من أهمها أسماء الأشخاص التي جاءت في الإسناد لأن تميماً الداري قدم المدينة سنة تسع للهجرة(٣٢).

ب – أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في أواخر أيامه وقبل اتخاذ المنبر الخشبي كان يشكو ألماً في فخذيه أو رجليه(٣٣) وكان قد بدن فعلاً.

(٢) يقول الدكتور زكي محمد حسن:

«والواقع أن الشكل الذي صار إليه المنبر في المساجد الإسلامية قد يكون مستمداً من المنابر المسيحية. وقد عثر كويبل Quibell في حفائره بدير الأنبا أرميا بسقارة (بمصر) على منبر حجري من القرن السادس الميلادي يجعلنا لا نكاد نشك في صحة هذا الرأي وهذا المنبر الحجري محفوظ حالياً بالمتحف القبطي بالقاهرة(٣٤)». (لوحة رقم ١) ولعل فيما سبق أن ذكرناه من رد سنواجه على هذه المقولة يكفي لنفي هذا الرأي. (انظر البند رابعاً).

والآن وبعد أن استعرضنا آراء بعض المستشرقين وتلاميذهم من المسلمين والعرب سنحاول القيام بدراسة تتبعية للخطوات التي مر بها المنبر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نقف مطمئنين على الحقيقة.

دراسة تتبعية للخطوات التي مر بها المنبر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

يقول ابن القيم في كتابه زاد المعاد «خطب صلى الله عليه وسلم على الأرض وعلى المنبر وعلى البعير وعلى الناقة»(٣٥).

ومن المعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب على راحلته يوم النحر(٣٦) أما خطبته على الأرض والمنبر فكانت في المسجد. ويمكننا أن نتعرف على المرحلة التي خطب فيها الرسول صلى الله عليه وسلم على المنبر من استقراء ما يلي :

– المرحلة الأولى :

– الجذع : «كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها»(٣٧) ويعني هذا أن الجذوع كانت للمسجد بمثابة الأعمدة.

وعن أنس بن مالك قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره إلى خشبة)(٣٨).

وعن مسلم بن إبراهيم قال : «سمعت الحسن يقول : لما أن قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جعل يسند ظهره إلى خشبة ويحدث الناس»(٣٩)

وعن أُبيّ بن كعب قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرب إلى جذع إذ كان المسجد عريشاً وكان يخطب إلى ذلك الجذع»(٤٠).

وكان ارتفاع جدار المسجد حينذاك حسب ما أخبرنا ابن عبد الله بن المحجوب ما يقرب من ١٠ر٢م فقد قال : «إن طول جدار المسجد في الهواء كان قبل تسقيفه قامة تزيد شبراً، ولما سقفه الرسول صلى الله عليه وسلم بالجريد فلا بد أن تظهر في طوله زيادة قليلة»(٤١). ومعنى ذلك أن السقف قد بلغ في ارتفاعه ٥٥ر٢م تقريباً. كما يذكر لنا ابن النجار حديثاً عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «كان طول جدار المسجد بسطة(٤٢) (قدر قامة الرجل مع رفع اليد إلى أعلى)(٤٣) ولم يزل طول جدار المسجد كذلك حتى قبض صلى الله عليه وسلم(٤٤).

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا خطب يعتمد على قوس(٤٥) أو عصا قبل أن يتخذ المنبر، وكان في الحرب يعتمد على قوس وفي الجمعة يعتمد على عصا(٤٦).

ــ المرحلة الثانية :

الجذع والمرق أو المصطبة :

نستشف هذه المرحلة مما جاء في صحيح البخاري في قصة الإفك الطويلة حيث جاء ما نصه : «فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا (قصدوا المقاربة واستعدوا للنزاع) ورسول الله على المنبر فنزل فخفضهم (تلطف بهم) حتى سكتوا وسكت ...»(٤٧).

وهذه الواقعة كانت في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق سنة ست وقيل سنة أربع وهي سنة الخندق فيحتمل أن المريسيع وحديث الإفك كانا في سنة أربع قبل الخندق وقيل سنة خمس(٤٨).

ويعلق جمال الدين محمد بن الأشخر اليمني على المنبر الذي ورد في هذا الحديث فيقول : ولعله منبر كان يوضع له يقعد عليه»(٤٩) كما يعلق العلامة الزرقاني على هذا المنبر بقوله : «ولا بأس بتسميته منبراً إلا المنبر كما في الصحاح وغيره كل ما ارتفع»(٥٠).

ونرى أن وجود منبر على شكل مقعد أو أي مرتفع لا ينفي ارتباطه بالجذع الذي سبقت الإشارة إليه في المرحلة الأولى إذ يمكن الجمع بينهما ويتحقق بوجودهما ملتصقين معنى النزول الوارد في الحديث الصحيح. ويكون الجذع بمثابة المسند للظهر والمصطبة تحقق نوعاً من الارتفاع يستوجب النزول عند الضرورة. وهذا ما ينسجم تماماً مع ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كان يخطب الناس في شأن حديث الإفك الذي وقع كما أسلفنا في السنة الخامسة للهجرة. وقد نص في هذا الحديث على النزول.

ــ المرحلة الثالثة :

المنبر الخشبي : عرفنا فيما سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب قائماً (على الأرض) إلى جذع من جذوع النخل في المسجد ثم انتقل من هذه المرحلة إلى الخطبة على مرتفع أو مصطبة مع استناده إلى الجذع. والآن لنصل إلى المرحلة الثالثة والأخيرة من مراحل الخطبة على عهده صلى الله عليه وسلم وهي على المنبر الخشبي. وسنحاول استقصاء كل ما ورد في الأحاديث الصحيحة عن هذا المنبر الخشبي لمعرفة أسباب اتخاذه صلى الله عليه وسلم له ومادته وشكله وارتفاعه ومكانه وصانعه.

عن عبد الله بن عمر قال «كان جذع في المسجد يسند رسول الله ظهره إليه إذا كان يوم جمعة أو حدث أمر يُكَلِّم الناس فيه، فقالوا ألا نجعل لك يا رسول الله شيئاً كقدر قيامه قال لا عليكم أن تفعلوا فصنعوا له منبراً ثلاث مراق. فقام فجلس عليه .... الخ»(٥١).

وعن نافع عن ابن عمر أن تميماً الداري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما كثر لحمه : «ألا نتخذ لك منبراً يحمل عظامك ؟ قال بلى فاتخذ منبراً»(٥٢).

وعن ابن عباس : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى خشبة، فلما كثر الناس قيل له : لو كنت جعلت منبراً وكان بالمدينة نجار واحد يقال له ميمون ..»(٥٣).

ويقول البيهقي : «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إذا خطب إلى خشبة ذات فرضتين قال أراها من دوم – كانت في مصلاه، وكان يتكيء إليها، فقال له أصحابه يا رسول الله : إن الناس قد كثروا فلو اتخذت شيئاً تقوم عليه إذا خطبت يراك الناس فقال ما شئتم. قال سهل : ولم يكن بالمدينة إلا نجار واحد قال فذهبت أنا وذلك النجار فقطعنا هذا المنبر من أثلة، قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنت الخشبة ..»(٥٤)

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمر « أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بدن قال له تميم الداري : ألا أتخذ لك منبراً يا رسول الله يجمع أو يحمل عظامك ؟ قال : بلى. قال فاتخذ له منبراً مرقاتين».

وروى عن أبي الزناد أنه عليه السلام كان يخطب يوم الجمعة إلى جذع في المسجد فقال : إن القيام قد شق علي وشكا ضعفاً في رجليه فقال له تميم الداري وكان من أهل فلسطين : يا رسول الله أنا أعمل لك منبراً كما رأيت يصنع بالشام. قال فلما أجمع ذوو الرأي من أصحابه على اتخاذه قال العباس بن عبد المطلب : إن لي غلاماً يقال له كلاب أعمل الناس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مره يعمل فأرسل إلى أثلة بالغابة فقطعها ثم عملها درجتين ومجلساً ثم جاء بالمنبر فوضعه موضع المنبر اليوم ثم راح إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ....»(٥٥)

وعن ابن أبي بن كعب قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرب إلى جذع إذ كان المسجد عريشاً وكان يخطب إلى ذلك الجذع، فقال له رجل من أصحابه يا رسول الله هل لك أن نجعل لك شيئاً تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس ولتُسمِعَهُم خطبتك قال : نعم فصنع له ثلاث درجات اللاتي على المنبر ..»(٥٦)

مما تقدم من أحاديث يتبين لنا الأسباب الحقيقية لاتخاذ النبي للمنبر الخشبي وهي :

١ – رغبة المسلمين في مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يخطبهم لأن رؤية الخاطب تؤثر تأثيراً كبيراً في نفوس السامعين.

٢ – أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد بدن في أواخر أيامه مما جعل الوقوف يصعب

[illegible]

الوقوف يشق عليه ويبرمه شيء يبيح له نوعه

[illegible]

أما عن عادة السير ونوع مشيه فيوضحها الحديث التالي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] كانت على الوجه التالي

[illegible]

فقد(٦٠)

[illegible]

[illegible] هو ثلاث درجات(٦١)

[illegible]

[illegible]

من رمى به في إسلامه

[illegible]

[illegible]

١ [illegible]

من مآثر الكنائس

٢ [illegible]

عربية جاءت عن طريق الاشتقاق

٣ [illegible]

٤ [illegible]

٥ [illegible]

«شجرة الأثل»

الحواشي

---

(١) [illegible] مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الثانية عشرة، شوال ١٤٠٥هـ يونيه ١٩٨٥م، ص ٦٥ - ٦٦.

(٢) Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Straßburg, 1910, S. 81.

(٣) من أسماء الإنسان: [illegible] ومن أسماء الحيوانات: [illegible] G. Bergstrasser [illegible] التطور النحوي للغة العربية، محاضرات في الجامعة المصرية سنة ١٩٢٩م، ص ٢٠٨، ٢٠٩، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٤) من أجزاء الجسم: [illegible] انظر المرجع السابق ص ٢٠٩.

(٥) مثل: [illegible] انظر المرجع السابق ص ٢٠٩ - ٢١٠.

(٦) المرجع السابق ص ٢١٠.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة [illegible] والجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار) الجزء الثاني الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، ط مجمع اللغة العربية.

(٨) Creswell, K.A.C., Early Muslim Architecture, Vol. I, p. 13.

(٩) كانت قصة الإفك سنة خمس للهجرة، كما في مغازي ابن عقبة. انظر شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني، الجزء الأول ص ٣٧٦، ط. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م

(١٠) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، ج ١٣ ص ٢٢٤ من عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني ت ٨٥٥هـ دار الفكر، بيروت

(١١) Creswell., Early Moslem Architecture, Vol., I. P. 16.

(١٢) صحيح البخاري، شرح ابن حجر العسقلاني، ج ٢، كتاب الجمعة، ص ٣٩٨ – ٣٩٩

(١٣) المنبر الذي وضعه قرة بن شريك في جامع عمرو بالفسطاط بعد أن أعيد بناؤه سنة ٩٤هـ

(١٤) ويرجع هذا المنبر حسب رأي كريزويل إلى القرن السادس الميلادي. انظر لوحة (١)

(١٥) يشير إلى النصوص التي أوردها ابن دقماق في الانتصار ج ٤ والمقريزي في الخطط ج ٢ وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ج ١ في شأن المنبر الذي قيل إنه كان لمسجد عمرو قبل منبر قرة بن شريك الذي وضع سنة ٩٤هـ وهي تقول: وذكر أنه علي أنه من بعض كنائس مصر، وذكر أن زكريا بن مرقي (كذا في المقريزي) ملك النوبة أهداه إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وبعث معه نجاراً يسمى بقطر حتى ركبه، ولم يزل هذا المنبر في الجامع إلى أن زاد قرة بن شريك المذكور في الجامع فنصب منبراً. انظر ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي) جزء (١) ص ٦٩ نسخة مصورة عن دار الكتب

(١٦) Sauvaget, La Mosquee de Medine, P. 139, 140.

(١٧) الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري، الولاة وكتاب القضاة، ص ١١٩ ط. الآباء اليسوعيين - بيروت سنة ١٩٠٨م يقول: "وأخبرني ابن قديد عن يحيى بن عثمان قال: أخبرني أبو يحيى الصدفي: رأيت موسى بن علي يخطب على منبر صغير خارج من المقصورة (وموسى بن علي بن رباح اللخمي ولي مصر سنة ١٥٦هـ حتى ١٦١هـ). انظر الزركلي قاموس تراجم الأعلام

(١٨) Sauvaget, La Mosquee de Medine, p. 140.

(١٩) ذكر ابن دقماق والمقريزي النص التالي خاصاً بمنبر قرة بن شريك: "وابتدئ في بنائه (يعني مسجد عمرو بالفسطاط) في شعبان من السنة المذكورة (سنة ٩٢هـ) وجعل على بنائه يحيى بن حنظلة مولى بني عامر بن لؤي، وكانوا يجمعون الجمعة في قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ونصب المنبر الجديد في سنة أربع وتسعين ونزع المنبر الذي كان في المسجد. انظر ابن دقماق، الانتصار ص ٦٢، ٦٦ منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، نسخة مصورة عن الطبعة الكبرى ببولاق سنة ١٣١٠هـ، والمقريزي: الخطط ص ١٩٩ جـ ٢

(٢٠) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ١ ص ٧٨ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

(٢١) انظر المصادر السابقة في نفس الصفحات

(٢٢) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري، الولاة وكتاب القضاة ص ٦٥ ط. الآباء اليسوعيين، بيروت سنة ١٩٠٨م

(٢٣) Creswell, Early Moslem Architecture, Vol. I, P. 16.

(٢٤) صحيح البخاري، شرح ابن حجر العسقلاني، باب الخطبة على المنبر ص ٣٩٧

(٢٥) ابن القيم، زاد المعاد، هامش شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني، ج ١، ص ٤٣٧، ص ٤٣٨

(٢٦) الدارمي (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي)، سنن الدارمي، الجزء الأول ص ٣٦٥ ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٧) الدارمي: سنن الدارمي، الجزء الأول ص ١٨، نشر دار إحياء السنة النبوية

(٢٨) هلال الدين محمد بن الأشخر اليمني: شرح على كتاب بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل للإمام الفقيه عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري، ص ٢٥٤ ط. أولى سنة ١٣٣٠هـ

(٢٩) حسين مؤنس: المساجد، العدد ٣٧ - صفر/ربيع الأول ١٤٠١هـ - يناير ١٩٨١ ص ٨٣، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت

(٣٠) انظر ما سبق أن ذكرناه في حواشي هذا البحث.

(٣١) حسين مؤنس: المساجد، العدد ٣٧ ص ٨٣، ٨٤.

(٣٢) صحيح البخاري، شرح ابن حجر العسقلاني، كتاب الجمعة ص ٣٩٩

(٣٣) السمهودي: نور الدين علي بن أحمد، وفاء الوفاء، الجزء الأول ص ٣٩٣، ط. بيروت. ويقول السمهودي عن يحيى عن ابن أبي الزناد [illegible] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن القيام قد شق علي» وشكا النبي صلى الله عليه وسلم ضعفاً في رجليه

(٣٤) زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص ٣٥، ط. دار الرائد العربي بالقاهرة – بيروت.

(٣٥) ابن القيم، زاد المعاد، هامش شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني ج ٩ ص ١٩٩، ط. دار المعرفة، بيروت.

(٣٦) المرجع السابق ج ١ ص ٤٥٨.

(٣٧) البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ج ١٦ ص ١٩٩، من عمدة القاري للعيني

(٣٨) مسند أحمد، ج ٣ ص ٢٩٩ ط. بيروت

(٣٩) الدارمي: سنن الدارمي ج ١ ص ١٨ نشر دار إحياء السنة النبوية

(٤٠) مسند أحمد ج ٥ ص ١٣٧ ط. بيروت

(٤١) [illegible] في أوصاف الحرمين ورقة ٨٥ أ

(٤٢) ابن النجار: محمد بن محمود بن النجار، الدرة الثمينة في تاريخ المدينة (ملحق بآخر كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) ص ٣٥٦ ط. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ١٩٥٦م، القاهرة

(٤٣) ابن منظور: لسان العرب ج ٧ ص ٣٦١

(٤٤) ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٣٥٦

(٤٥) انظر شكل رقم (٦).

(٤٦) ابن القيم: زاد المعاد، هامش شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني ج (١) ص ٤٣٨

(٤٧) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً ج ١٣ ص ٢٢٤ من عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، دار الفكر، بيروت

(٤٨) انظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني ج ١ ص ٣٧٦.

(٤٩) جلال الدين محمد الأشخر، شرح كتاب بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل للإمام الفقيه عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري ط. أولى ص ١٥٤

(٥٠) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني ج ١ ص ٣٧٣.

(٥١) مسند أحمد ج ٦ ص ١٠٩ ط. بيروت

(٥٢) البخاري، الصحيح كتاب الجمعة ج ٢ ص ٢٩٨

(٥٣) المصدر السابق كتاب الجمعة ج ٦ ص ٢٩٨.

(٥٤) البيهقي: دلائل النبوة، تقديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الجزء الثاني ص ٤٨٧–٤٨٨

(٥٥) ابن النجار: الدرة الثمينة في تاريخ المدينة ص ٣٦١–٣٦٢

(٥٦) مسند أحمد، ج ٥ ص ١٣٦ ط. بيروت

(٥٧) البخاري: الصحيح ج ٩ ص ٢٩٧.

(٥٨) البخاري، الصحيح ج ٩ ص ٢٩٩. والأثل شجر لا شوك له وخشبه جيد يعمل منه القصاع والأواني. انظر شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني ج ١ ص ٣٦٩ وأوضح رقم (٦).

(٥٩) السمهودي: وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠١، ص ٣٠٢ ط. دار إحياء التراث العربي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

(٦٠) السمهودي: وفاء الوفاء ج ٢، ص ٣٩٨، وانظر شكل رقم (١).

(٦١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج (١) ص ٢٦٩ ط. بيروت. عن حديث ابن عباس

(٦٢) الكتاني، عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، المجلد الأول ص ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥.

(٦٣) كانت قرى علاقاً دائماً وكانت تدير مصانعها الأسلحة وهي حالياً تابعة للمملكة العربية السعودية إلا أنها مطمورة في الأرض

(٦٤) انظر شرح العلامة الزرقاني للمواهب اللدنية للقسطلاني ج ١ ص ٣٧٣، وانظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، جزء ٣ القسم الأول طبعة ليدن ص ١٦٦٩.

(٦٥) انظر شرح العلامة الزرقاني للمواهب اللدنية للقسطلاني ج (١) ص ٣٧٣

• ثبت بمصادر ومراجع البحث •

أولا : العربية :

(١) ابن الأشخر (جمال الدين محمد بن الأشخر اليمني)، شرح كتاب بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل للإمام الفقيه عماد الدين بن أبي يحيى العامري، ط. أولى سنة ١٣٣٠هـ.
(٢) ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ١، مصورة عن مطبعة دار الكتب.
(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح البخاري.
(٤) ابن حنبل (أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال)، مسند أحمد، جـ ٣، بيروت.
(٥) ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بدمر العلائي)، كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، نسخة مصورة عن الطبعة الكبرى ببولاق سنة ١٣١٠هـ.
(٦) ابن القيم (محمد بن أبي بكر الزرعي)، زاد المعاد في هدي خير العباد، هامش شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني
(٧) ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن جلال الدين الإفريقي المصري)، لسان العرب ج ٧.
(٨) ابن المجبوب (عبد الله)، قرة العين في أوصاف الحرمين، مخطوطة ورقة ١٦٥
(٩) ابن النجار (محمد بن محمود بن النجار)، الدرة الثمينة في تاريخ المدينة
(١٠) برجشتراسر (G. Bergstrasser)، التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية، إخراج وتعليق د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض.
(١١) البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي)، دلائل النبوة، تقديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المجلد الثاني.
(١٢) حسين مؤنس، المساجد، العدد ٣٧، صفر/ربيع الأول ١٤٠١هـ/يناير سنة ١٩٨١م، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت.
(١٣) الدارمي (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي)، سنن الدارمي، الجزء الأول، دار الكتب العلمية بيروت سنن الدارمي، الجزء الأول، نشر دار إحياء السنة النبوية.
(١٤) الزرقاني (محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المصري)، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني
(١٥) زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ط. الرائد العربي بالقاهرة بيروت.
(١٦) السمهودي (نور الدين علي بن أحمد السمهودي)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٢ دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
(١٧) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ط. ليدن.
(١٨) عبد المنعم عبد العزيز وصلاه، بحث بعنوان «نشأة المئذنة»، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الحادية عشرة، شوال ١٤٠٥هـ/يونيه ١٩٨٥م.
(١٩) علي الجندي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ط. مكتبة الجامعة العربية بيروت.
(٢٠) العيني (محمود بن أحمد أبو محمد بدر الدين العيني)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت.
(٢١) الكتاني (محمد عبد الحي بن عبد الكبير المعروف بعبد الحي الكتاني)، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، المجلد الأول.
(٢٢) الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري)، الولاة والقضاة، ط. الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨م.
(٢٣) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٢

ثانيا : الأجنبية :

(1) Creswell K.A.C., Early Moslem Architecture, Vol., I Hacker Art Books, New York, 1979.
(2) Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 919, s49.
(3) Sauvaget, (Jean), la Mosquée Omeyyade de Médine, Paris 1947.